باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فنخصه ترغيباً في المعارف والمباحث الفهم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العبدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف وراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) والمناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فتذكرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف الغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستعار على المطوّلة

رد العربية الى العبرية

وضعت قاموساً عربياً عبرياً جمعت فيه الالفاظ العبرية المندمجة في العربية واعتمدت فيه على التوراة دون غيرها من سائر الكتب العبرية تمحيصاً لعبرية تلك الكلمات وتنزيهاً لها عن الشك والريب لدخول بعض الكلمات من العربية الى العبرية حديثاً في كثير من المؤلفات العبرية . وعمدتهُ ردّ العربية الى العبرية فقد رددت فيه يقيناً تلك الكلمات الى مستقط رأسها العبري وقد بلغت اكثر من الف مصدر وهي كمية كبيرة ما كان يظنها احد على ما اعتقد . واريد الآن قبل طبعه ان استوثق من الامور الآتية وهي اكان العرب موجودين ايام نشأة الامة اليهودية وباية لغة كانوا يتخاطبون أبالعبرية ذاتها ثم تطورت عن اصلها على مرّ الايام فتشعبت بالحضارة والملك ام كانت لغتهم اللغة العربية المعروفة الآن واذا كان هذا فما هو اقدم كتاب عربي او اقدم اثر للغة العربية في العالم واين هو حتى يصح ان تكون معاصرة للعبرية في ايامها

فهل للمقتطف الاغر هو وغيرهُ من كرام المطلعين ان يتفضلوا بالجواب عن هذين السؤالين او يدلوني على الطريق المؤدي الى ذلك فاهتدي الى المعرفة من المؤلفات خدمةً للعلم وطمع الشكر

مراد فرج بمصر

(المقتطف) لم نشر نا اقتراحكم ليطلع عليه القراء في مشارق الارض ومغاربها وما نحن فاقدم كتابة عربية رأيناها تاريخها سنة ٨٧ بعد الهجرة وهي موجودة

الآن في دار الكتب السلطانية ولم ير ما هو اقدم منها . والاشعار والاقوال المنقولة عن الجاهلية ويحتمل ان تكون صحيحة لا يمتد تاريخها اكثر من قرنين او ثلاثة قبل الهجرة . اما النقوش الحجرية التي وجدت في شمال جزيرة العرب وجنوبها فعربيتها بعيدة جداً عن اللغة العربية التي نكتب بها الآن وحروفها غير الحروف التي نكتب بها . اما العرب فلا شبهة في انهم كانوا معاصرين لليهود في زمن النبي كما هو مذكور في التوراة نفسها . ولكن لا دليل على ان لغتهم كانت العبرية ولا يعلم شيء يقيني عن لغتهم التي كانوا يتكلمونها حينئذٍ .

وهذا الموضوع اي معرفة تاريخ العرب ولغتهم في القرون الغابرة من اهم المواضيع ويحتمل الآن ان تكشف عاديات كثيرة في جزيرة العرب تزيح الستار عن غوامضه فتتجلى كما تجلى تاريخ مصر الغابر بقراءة ما هو منقوش في آثارها وحينئذٍ تعلم اللغة التي كان العرب يتكلمونها والحروف التي كانت تكتب بها في زمن التوراة .

اراء النساء في الرجال

حضرة الفاضل المحترم رئيس تحرير مجلة المقتطف

بعد الاحترام بينما انا اطالع في اعداد مجلتكم عثرت في صحيفة ٤٤٦ من الجزء الخامس من المجلد الثامن والعشرين في باب الاخبار العلمية منه على رأي السيدات الانكليزيات فيما تستحسنه المرأة في الرجل :

وقد راقني ما كتبنه في هذا الصدد واعجبني ما اتفقن عليه وهو ما ذكرتموه في تعليقكم على كتاباتهن ولكن ما زال الاطلاع مشوقاً الى معرفة رأي السيدات المصريات في ذلك فرجوكم عرض هذا السؤال عليهن ليزدننا من بنات افكارهن عما يروقهن من صفات الرجال واخلاقهم ولعلهن لا يبخلن علينا ان يبدين رأيهن صراحة اسوة باخواتهن الكاتبات الانكليزيات حتى نعلم ان كان هناك فرق بين اميال السيدات الشرقيات واخواتهن الغربيات ؟ وانا منتظرون الجواب وان غداً لناظره قريب

الشرقية مشترك

حول الشعر القصصي الحماسي (١)

حضرة منشئي المقتطف الاغر المحترمين

قرأت — ما نشرتموهُ في باب التقريظ والانتقاد من الجزء ٦ المجلد ٥٢ من المقتطف — بقلم النابغة (مي) في تقريظ عبرية حافظ وبما ان مي من الكاتبات النابغات اللواتي يعتمد على اقوالهن الباحثون حذاني حب الحقيقة الى كتابة النبذة الآتية في معارضتها

(لمي) اسلوب بديع في الكتابة لم ينحه الاَّ كتاب الغرب وقليل من ادباء الشرق المصريين وقد وقفت على كثير من اقوالها وآرائها منذ زمان فلم ازدد الاَّ اعجاباً بها واكباراً لها . بيد اني ما وجدتها تطرقت في موضوع كتطرقها في انتقاء الشعر القصصي الحماسي Epopee الفرنسوية او Epic الانكليزية — عن العرب وهذا الزعم ليس من مبتكراتها ولكنهُ قديم الاَّ انهُ قائل والمنصف من يسلك في ذلك حالة وسطاً (٢) واذا لا انكر ان ليس بايدينا اليوم للعرب القدماء منظومات مطولة كالياذة هوميروس وشاه نامة الفردوسي وفردوس ملتن الغابر (٣) كما اني لا انفي عنهم بالمرة طروقهم ذلك الموضوع وكيف ؟ وما تضمنتهُ —

---

(١) ان المآخذ التي استندنا عليها في وضع هذه المقالة هي مقدمة ابن خلدون والياذة هوميروس للبستاني وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان . وشعراء النصرانية وبحاني الادب لشيخو والاغاني وجمهرة اشعار العرب والمفضليات للضبي ومعجم الادباء ومعجم البلدان لياقوت ومناقب الزوزني وشروح المعلقات السبع وشعر الاحزان (وهذه الثلاثة طبع ايران) وكشف الظنون وامالي القالي وكشكول الشيخ يوسف البحراني والمنتخب في الرثاء والخطب لطريحي والفرائد الحسينية لابن عصفور البحراني (وكلها طبع نجف) وتاريخ الادب لحنا فاخوري وخزانة الادب للبغدادي ويتيمة الدهر للثعالبي وديوان الحماسة لابي تمام والبحتري والعقد الفريد لابن عبد ربه والمزهر للسيوطي

(٢) من الخطأ ان يحكم المرء في امر مجرد شبهة عرضت له او رأي ارتآه مخيلة غيره قبل عليه قبل كل شيء ان يلم بالموضوع من جميع اطرافه ويمحصه بالبحث عنهُ ومع ذلك يلزمه ان يستند عند القطع به على القدر الذي اطلق البحث عليه وبذلك يكون قد انصف حوادث التاريخ عند روايته اياها

(٣) هذا اذا صرفنا النظر عن سفر ايوب الذي كان من اهل بادية العرب وقد كثر النقل ان اصله عربي كما بعد هذا الزعم بعض العلماء والمستشرقين واذا تحقق ذلك فحينئذ يكون اقدم منظومة قصصية حماسية في العالم . وربما كان من قبيل سفر ايوب كتب ابرواسيم التي ذكرها صاحب القاموس وشرح موضوعها صاحب الاقيانوس ج ١ : ٤٦٥ بقوله : « ابرواسيم كتب كانت في عهد الجاهلية

قصائدهم التي نظمت في ذكرى حرب مشهورة او تاريخ واقعة معروفة او باعث من بواعث الغلبة والخذلان — شاهد بذلك . واي منصف لا يعترف ان شعر العرب الاولين كان كلهُ عبارة عن قصيدة هوميروس بل فوقها بكثير من حيث البلاغة والاجادة فضلاً عن انهُ كلهُ عبارة عن رواية حربهم ومنافرتهم ومعارضتهم ومنازعتهم وتاريخ ايامهم (المشهورة) واحكامهم وادبائهم وفلسفتهم وآدابهم وسائر علومهم (٤)

ان نونية (٥) مهلهل وميميته (٦) الحربيتين ورائية (٧) بشر الاسدية ولامية (٨) مزرّد الشكية (٩) ولامية (١٠) عبدة ابن الطبيب الثورية ومقصورة (١١) ابي صقوان الاسدي الوحشية قد قصت علينا جميعها ما نظمهُ هوميروس في سرد حوادثهِ

وكانوا يرجعون اليها في شؤونهم طبقاً لاحكام جاهليتهم واوضاعهم ولما لم يكن لهم يومئذ كتب سماوية وشرعية فانهم كانوا يسلمون بما رتبهم حكماؤهم في ذلك العهد كما نقل ذلك اليهود عن مزامير داود عليه السلام . على ان هذه الشواهد مما يحقق ظننا ان قد كان للعرب منظومات مطولة من هذا النوع وماتت بموت رواتها الذين تفننوا في المرويات قبل تدوين تاريخ العرب واخبارهم ومما يدعم ذلك ما ذكره لنا التاريخ مما كان يحفظه بعض رواة الشعر في ذلك العهد من ارجاز العرب ومنظوماتهم من ذلك ما جاء في تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ : ٧١ « ان ابا تمام كان يحفظ ١٤ الف ارجوزة غير القصائد والمقاطيع وكان حماد الراوية يحفظ ٢٧ الف قصيدة على كل حرف من حروف الهجاء الف قصيدة . وكان الاصمعي يحفظ ١٦ الف ارجوزة (ما عدا المنظومات والمقاطيع) وكان ابو عمرو يروي اشعار ستة شاعر كل منهم اسمه عمرو » الخ . وقد كان لبعض الشعراء راوية مخصوص به لا يروي غير شعره مما ان حوى ما ذكره المؤرخون من شعراء الجاهليين لا يتجاوز المائة والثلاثين شاعراً وكان اكثرهم من اهل القرن الخامس لميلاد واكثرهم من ابناء القرن السادس واغلب هذا القسم (الثاني) عد من المخضرمين على ان هؤلاء الشعراء (القليلين) لم يصل الينا من شعرهم الا اقله لفقدان اكثره ايام حرب الردة وغزو فارس والروم والفتوحات الاسلامية بقتل رواته وهلاك حافظيه . ولا شك ان قد ضاع قبلهم شعر كثير ايضاً من اشعار العرب الاولين فقد جاء في المزهر ج ٢ : ٢٩٤ طبعة ثانية عن ابي عمرو ابن العلاء انه قال : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير » اه

(٤) راجع مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٠ طبعة بولاق والمزهر ج ٢ : ٢٩٣ طبعة ثانية

(٥) راجع الايانة ص ١٢١ . (٦) راجع شعراء النصرانية ج ١ : ١٦٨ . (٧) راجع الايانة ص ١٢٤ . (٨) الايانة ص ٦٢٧ . (٩) نسبة الى الشكة وهي مخرج السلاح . (١٠) الايانة ص ١٢١ — ١٢٤ . (١١) الاغاني ج ١٢ : ٢٤٠ — ٢٤٣

ان من قرأ شعر (آخيل) في الالياذة ودرس اشعار عنترة العبسي ومهلهل ابن ربيعة وقرابتي البراق بن روحان المتوفى سنة ٤٧٠ للميلاد . يرى قرب المبدإ والمغزى بين ابطال العرب الثلاثة وابطال اليونان . وما المعلقات السبع او العشر الا علواء (١٢) من علواءات العرب (القصيدة) واذا كان ابطالها مختلفين مبنى فانهم متحدون معنى خصوصاً نونية ابن كلثوم وعينية الحارث وميمية زهير . ونقدر ان نقول ان اشعار عنترة ومهلهل والبراق والمعلقات هي علواءات كعلواءات اليونان والرومان والهنود والفرس وانطليان والانكليز والفرنسويين . ولا يمنع كون اشعارها مقاطيع متباينة في العروض والقافية لان موضوعها واحد وهو (القصصي الحماسي) ليس الا

ان المستشرقين الذين يبعدون الجاهليين عن المدنية وينسبونهم دائماً الى الخشونة والحرب والغزو والنهب يستندون على ذلك بما يستدلون به من اشعارهم

(١٢) قد اطلق ابن رشد الحفيد على شعر اليونان (القصصي الحماسي) — (في تلخيص كتاب ارسطوطاليس في الشعر ص ٤٠ طبع الافرنج) — اسم (القصصي) فقط . وقد سماه الخالدي في كتاب الادب عند الافرنج والعرب — ص ١٨٠ طبع مصر — (الحماسي) واختاره البستاني في مقدمة الالياذة ص ١٦٢ — ١٦٣ كلمة (ملحمة) وقد وقفنا على رأي الاستاذ كرلو . نلينو — (الذي جازف في مقالاته الادبية من الشعر القصصي الحماسي) في حاشية صفحة ٤٥ من السنة ٢٦ من الهلال — . انتقد فيه الثلاثة . غير اننا نرى رأيه مصيباً في الاثنين الاولين لانهما لم يجمعا بين القصصي والحماسي بلفظة واحدة كما يعبر عنهما بالافرنجية بكلمة (ايبوبي) Epopee اليونانية او (ايبك) Epic الانكليزية . كما اننا نراه لم يصب كل الاصابة في انتقاده رأي البستاني لان معنى كلمة (ملحمة) الذي يقارب موضوع الاشعار القصصية الحماسية . والبستاني قد اخذها من ابن خلدون الذي سمى المنظومات التي تنبىء عن الاحوال العامة (بالملاحم) وقد سبقه الى تسميتها كتاب الف ليلة وليلة . ولعل هذا الاسم انتقل من ذكر حوادث الماضي الى ذكر وقائع المستقبل اذ تجد موضوعها واحداً . وقد صحف عمر ابن خلدون لفظة ملحمة (جلصة) ووجه التصحيف بين وذلك لتعاقب الحاء والعين والباء والميم في العربية . ثم اطلقوها على المنظومات التي تقص الاخبار الغابرة والقصائد التي تنبىء عن الحوادث الآتية (راجع المقدمة ص ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٥٣١ طبعة بولاق) — وعلى كل فرأي المجمع قائل لانا اهتدينا بواسطة استاذنا العلامة النحوي الاب انستاس الى كلمة سمناها كمعنى ايبوبي اليونانية التي اطلقوها على الشعر القصصي الحماسي وهي لفظة (علواء) لان معنى ايبوبي القصة العالية او الخطاب او الكلام العالي ومعنى علواء ايضاً القصة العالية كما نص عليه لغويو العرب اذ يقال « سمعنا منه علواء اي قصة عالية » . ولعل المجمع اللغوي (النحوي احياؤه) في مصر يختارها ويجد لنا لفظة سواها تكون اقرب منها الى هذا المعنى وآنس للسمع والذ في ذوق العصر

الناطقة بوضوح عن حالة وسطهم في ذلك الحين ولم ينحصر نظم العواتك في الجاهليين فقط بل اتصل بالمخضرمين والمولدين والمحدثين ايضاً . غير ان المولدين والمحدثين لم يعنوا بهذا الموضوع عنايتهم بوصف البرك والازهار والقصور والرياش (١٣) وقد صرفهم عن الرغبة فيه باعث المنفعة لانهم لم يصادفوا من محيطهم اقبالاً على هذه المواضيع . وذلك لتحول وجهة وسطهم الى طلب الادعية والاذكار بسبب ما احدثهُ مذهب الصوفية حين ذاك من امثال تلك المقاصد والاساليب التي لم يرق ابناء ذلك الزمان سواها . وفوق ذلك ان ملوكهم لم يطلبوا اليهم نظم الوقائع التاريخية كما طلبهُ السلطان محمود الغزنوي الى الفردوسي في نظم الشاه نامة وكما طلبهُ الملك المعظم عيسى بن العادل الايوبي الى الفتح بن علي البغدادي في تعريبها . وكانوا (اعني الشعراء) في ذلك الحين يتناولون باشعارهم قولاً يتجاوز حد الوصف من الاستكانة والتذلل (١٤) مما يشين وجه الانسانية خجلاً وذلاً . اللهم الاَّ اشذاذاً كابن المعتز وصالح بن عبد القدوس والسيد الحميري (١٥) والعباس بن الاحنف ومحمد بن بشير الرياشي (مولى بني اياس) ودعبل الخزاعي وابي فراس وابي العلاء والرضي واضرابهم من ذوي الانفة والعزة . ومع ذلك كله فانك تجد بينهم من حداهُ حادي التنافس والنزوع الى مجاراة الاقدمين ومغالبتهم فنظموا في ذلك

(١٣) مثال ذلك الذي ابدعوا فيه كل ابداع سينية البحتري في وصف ايوان كسرى ونونية ابن الرومي الزهرية التي اولها « اجنت لك الوجد اغصان وكثبان » ورائية مهيار في وصف بركة في بستان مطلعها « ندمي وما الناس الا سكارى » ولرياشي المتقدم ذكره (وهو من المطيبين المجيدين) قصيدة يصف فيها شاة دخلت بستانه واكلت قراطيس فيها شعره اولها : « لي بستان انيق زاهر ناضر الخضرة ريان ترف » ولمأموني قصيدة في وصف قصر بناه الصاحب ابن عباد قد اجاد فيها الوصف والتصوير . وما ابدع تشابيه ابن المعتز ووصفياته فانها تمثل الاشياء تمثيلاً هو اشبه باصباغ الصور المتحركة (السينما) بحيث تكاد تلمسها لمساً وامثال هؤلاء الشعراء كثيرون يطول بنا شرحهم

(١٤) مثال ذلك ابيات سبط ابن التعاويذي التي خاطب بها عضد الدولة ابن رئيس الرؤساء ومنها :

« فيا مولاي هل حدثت عني ... فاني من ملائكة السماء ؟
وان وظائف التسبيح قوتي ... وما احيا عليه من الدعاء
واني قد غنيت عن الطعام الـ ... ـذي هو من ضرورات البقاء
وهل في الناس لو انصفت خلق ... يعيش كما اعيش من الهواء
فلا في جنة الاحرار ادعى ... ولا بين العبيد ولا الاماء »

انتهى عن تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ١٢

(١٥) مما يدل على تورع الحميري عن الجوائز ان الرشيد اعطاه جائزة فتركها بحضرته حالاً

الموضوع رهم شيع في الامراء والآراء فمنهم من بعثهُ باعث الحزن والاسى ومنهم من قادهُ هوى الدين والتقى ومنهم من ساقهُ سائق النفع وحب الشهرة معاً . واثباتاً للحقيقة نشير هنا الى طرف من المنظومات المطولة التي هي من نوع القصيدة العمرية التي عدتْ (مي) مع اربع قصائد اخرى من الشعر القصصي الجاهلي فقط فنقول :

ان اكبر شاهد لدينا ندحض به خصمة الخصوم هو كتاب نشرهُ منذ اشهر المنسيور غريفيني الايطالي — في علواء نظمت في منتصف القرن الرابع بعد المسيح وهي لقدم بن قادم اليماني في ١١٩ بيتاً . وهذه العلواء تشتمل على خواطر ناظمها في الديانة والاخلاق في الشرائع والاحكام في الادارة والامارة وفيها ايضاً خلاصة تاريخ شمالي جزيرة العرب ووصف مدنها وتاريخ فن الحرب فيها وفوائد عن مشاهير الرجال في بلاد اليمن القديمة ومباحث عن داخل بلاد العرب الشمالية في عهدها العتيد مع ذكر اسماء شيوخها وامرائها وملوكها وحروبهم ومآثرهم (١٦)

وقد رأيت ان هذه القصيدة القصصية الحماسية قد ضاهت منظومات سائر الامم في موضوعها

ومن علواءات الجاهليين والمخضرمين رائية (١٧) بشر بن عوانة التي وصف فيها مبارزتهُ للاسد وقتلهُ اياهُ ومجهرة بشر ابن ابي خازم المليمية ومجهرة امية (١٨) بن الصلت الثقفي النونية . ومنتقاة (١٩) مهلهل بن ربيعة القافية . ومنتقاة دريد بن الصمة الدالية . ونونية (٢٠) عديّ بن زيد العبادي التي نظمها في وقعة جذيمة والزباء . ومنتقاة المتنخل بن حمير الهذلي الطائية . ومذهبة قيس بن الخطيم الباثية . ومشورة النابغة الجعدي الرائية . وملحمة الفرزدق القافية وللفرزدق نونية وصف فيها الذئب وضيافتهُ اياهُ ثم مبارزتهُ وقتلهُ منها البيت المشهور :

تعش فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

وهي من ارفع القصائد ذكراً وتجدها مطبوعة في ديوانه

ستأتي البقية بغداد كاظم الدجيلي

---

(١٦) راجع العدد ٣٦٦ — الصادر في ١٠ ايار سنة ١٩١٨ المجلد ١٤ ص ٣٧٨ من وصية الشرق الادنى الانكليزية (١٧) راجع الاباذة ص ١٢٤ — ١٢٥ (١٨) كان امية من الشعراء الحكماء وقد نظم في اشعاره معاني لم يعرفها العرب قبله وهو قد اخذها عمن تقدمه من علماء النصرانية في الشام ولهذا تجد في اشعاره ما تجده في اناشيد فرجيليوس الروماني (١٩) كانت العرب تسميها الذاهبة . وكان مهلهل اول من اطال نظم القصائد (٢٠) راجع الاغاني ج ١٤ : ٧٣